@ 520 @ السبيل . فلما لم تسلكوه ، وسلكتم غيره ، من الطرق ، التي فيها ضعتكم وخستكم في الدنيا والآخرة وشقاوتكم فيهما ، علم أنه ليس لكم معقول صحيح ، ولا رأي رجيح . وهذه الآية ، مصداقها ما وقع . فإن المؤمنين بالرسول ، والذين تذكروا بالقرآن ، من الصحابة ، فمن بعدهم ، حصل لهم من الرفعة والعلو الباهر ، والصيت العظيم ، والشرف على الملوك ، ما هو أمر معلوم لكل أحد . كما أنه معلوم ما حصل ، لمن لم يرفع بهذا القرآن رأسا ، ولم يهتد ، ولم يتزك به ، من المقت والضعة ، والتدسية ، والشقاوة ، فلا سبيل إلى سعادة الدنيا والآخرة ، إلا بالتذكر بهذا الكتاب . ! 2 2 ! يقول تعالى محذرا لهؤلاء الظالمين ، المكذبين للرسول ، بما فعل بالأمم المكذبة لغيره من الرسل ! 2 2 ! أي : أهلكنا بعذاب مستأصل ! 2 2 ! تلفت عن آخرها ! 2 2 ! وأن هؤلاء المهلكين ، لما أحسوا بعذاب ا وعقابه ، وباشرهم نزوله ، لم يمكن لهم الرجوع ولا طريق لهم إلى النزوع ، وإنما ضربوا الأرض بأرجلهم ، ندما ، وقلقا ، وتحسروا على ما فعلوا . فقيل لهم على وجه التهكم بهم : ^ (لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم به ومساكنكم لعلكم تسألون) ^ أي : لا يفيدكم الركض والندم ، ولكن إن كان لكم اقتدار ، فارجعوا إلى ما أترفتم فيه ، من اللذات ، والمشتهيات ، ومساكنكم المزخرفات ، ودنياكم التي غرتكم وآلهتكم ، حتى جاءكم أمر ا . فكونوا فيها متمكنين ، وللذاتها جانين ، وفي منازلكم مطمئنين معظمين ، لعلكم أن تكونوا مقصودين في أموركم ، كما كنتم سابقا ، مسؤولين من مطالب الدنيا ، كحالتكم الأولى ، وهيهات ، أين الوصول إلى هذا ؟ وقد فات الوقت ، وحل بهم العقاب والمقت ، وذهب عنهم عزهم ، وشرفهم ودنياهم ، وحضرهم ندمهم وتحسرهم ؟ ولهذا ! 2 2 ! أي : الدعاء بالويل والثبور ، والندم ، والإقرار على أنفسهم بالظلم وأن ا عادل فيما أحل بهم . ! 2 2 ! أي : بمنزلة النبات الذي قد حصد وأنم ، قد خمدت منهم الحركات ، وسكنت منهم الأصوات ، فحذروا أيها المخاطبون أن تستمروا على تكذيب أشرف الرسل ، فيحل بكم كما حل بأولئك . ! 2 2 ! يخبر تعالى أنه ما خلق السموات والأرض عبثا ، ولا لعبا من غير فائدة بل خلقها بالحق وللحق ، ليستدل بها العباد على أنه الخالق العظيم ، المدبر الحكيم ، الرحمن الرحيم ، الذي له الكمال كله ، والحمد كله ، والعزة كلها ، الصادق في قيله ، الصادقة رسله ، فيما تخبر عنه ، وأن القادر على خلقهما مع سعتهما وعظمهما ، قادر على إعادة الأجساد بعد موتها ، ليجازي المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته . ! 2 2 ! على الفرض والتقدير المحال ! 2 2 ! أي : من عندنا ! 2 2 ! ولم نطلعكم على ما فيه عبث ولهو ، لأن

ذلك نقص ومثل سوء ، لا نحب أن نريه إياكم . فالسموات والأرض اللذان بمرأى منكم على الدوام ، لا يمكن أن يكون القصد منهما العبث واللهو . كل هذا تنزل مع العقول الصغيرة وإقناعها بجميع الوجوه المقنعة ، فسبحان الحليم الرحيم ، الحكيم ، في تنزيله الأشياء منازلها . ! 2 2 ! يخبر تعالى ، أنه تكفل بإحقاق الحق وإبطال الباطل ، وإن كان باطل قيل وجودل به ، فإن ا ينزل من الحق والعلم والبيان ، ما يدمغه فيضمحل ، ويتبين لكل أحد بطلانه ! 2 2 ! ، أي : مضمحل ، فان ، وهذا عام في جميع المسائل الدينية ، لا يورد مبطل ، شبهة ، عقلية ولا نقلية ، في إحقاق باطل ، أو رد حق ، إلا وفي أدلة ا ، من القواطع العقلية والنقلية ، ما يذهب ذلك القول الباطل ويقمعه فإذا هو متبين بطلانه لكل أحد . وهذا يتبين باستقراء المسائل ، مسألة مسألة ، فإنك تجدها كذلك . ثم قال : ! 22 ! أيها الواصفون ا ، بم لا يليق به ، من اتخاذ الولد والصاحبة ، ومن الأنداد والشركاء ، حظكم من ذلك ، ونصيبكم الذي تدركون به ! 2 2 ! والندامة والخسران . ليس لكم مما قلتم فائدة ، ولا يرجع عليكم بعائدة تؤملونها ، وتعملون لأجلها ، وتسعون في الوصول إليها ، إلا عكس مقصودكم ، وهو : الخيبة والحرمان . ثم أخبر أنه له ملك السموات والأرض وما بينهما ، فالكل عبيده ومماليكه ، فليس لأحد منهم ملك ولا قسط من الملك ، ولا معاونة عليه ، ولا يشفع إلا بإذن ا ، فكيف يتخذ من هؤلاء آلهة وكيف يجعل منها ولد ؟ فتعالى وتقدس ، المالك العظيم ، الذي خضعت له الرقاب ، وذلت له الصعاب ، وخشعت له الملائكة المقربون ، وأذعنوا له بالعبادة الدائمة المستمرة ، أجمعون . ولهذا قال : ^ (ومن عنده) ^ أي : الملائكة ! 2 2 ! أي : لا يملون ولا يسأمون ، لشدة رغبتهم ، وكمال محبتهم ، وقوة